



خدمة الإذاعة العربية

برنامج أنوار كاشفة

سفر الجامعة

الحلقة الرابعة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالَج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تأملنا في اللقاء الماضي بحديث سليمان الحكيم عن فقدانه الأمل بإمكان إصلاح البشر. ثم اعترفه بفشل الحكمة البشرية بمعالجة مشاعر الإحباط والفشل عند الإنسان. وأن معرفة الحكمة هي أيضاً قبض الريح، لأن في كثرة الحكمة كثرة الغم، وأن الذي يزيد علماً يزيد حزناً.

ماهي الوسيلة الفضلى مستمعي لكي تحصل على الرضى والاكْتفاء في حياتك؟ يلجأ الكثيرون لطرق متنوعة لكي يحصلوا على الاكْتفاء ويبعدوا عنهم مشاعر الاحباط والفشل. وهو ما حاوله سليمان الحكيم الذي جرّب كما ذكرنا سابقاً كل شيء. كتب سليمان الحكيم قائلاً: « قلت أنا في قلبي هلمّ امتحنك بالفرح فترى خيراً. وإذا هذا أيضاً باطل. للضحك قلت مجنون وللفرح ماذا يفعل» (الجامعة ٢: ١ و٢).

أي حاول سليمان الحكيم أن يُفرح نفسه ويضحكها ويهيجها بأمر كثيرة، لعلها تتمتع وتُسّر، لكن النتيجة كانت عكس ما توقع. لهذا وجد الفرح والضحك لا منفعة لهما، إذ لم يستطعا أن يُشبعوا أنفسهم، وأن يجعلها تشعر بالاكْتفاء والرضى. فقال عنهما هذا أيضاً باطل. إن الفرح يا صديقي يستمر لساعات قليلة إن لم يكن لدقائق معدودة، ثم يعود المرء إلى الحالة التي كان عليها. لهذا وصفه الحكيم هنا بالباطل، أي غير المجدي.

هل حاولت مستمعي أن تُفرح نفسك وأن تُهيجها بالضحك؟ وماذا حصدت من وراء ذلك؟ بالطبع إن ما وجدته أن الفرح والضحك هما أمران مؤقتان وغير دائمين. ولهذا عدت بعد أن تلاشى الفرح والضحك، لتكتشف عدم جدواهما، في طرد مشاعر الاحباط والفشل من حياتك.

وعاد سليمان الحكيم ليجربّ أمراً آخر فكتب قائلاً: « افكرت في قلبي أن أعلل جسدي بالخمير وقلبي يلهج بالحكمة وأن آخذ بالحماقة حتى أرى ما هو الخير لبني البشر حتى يفعلوه تحت السموات مدّة أيام حياتهم» (جامعة ٢: ٣). حاول سليمان الحكيم إذن أن يداوي نفسه بشرب الخمر، رغم معرفته كحكيم أن هذا أمر أحمق. وهو علّل ذلك، أنه قد يكتشف أمراً جيداً يستطيع أن ينصح به اخوته بني البشر. لكن تبين له فيما بعد أن شرب الخمر كالفرح والضحك لا يجدي نفعاً في شفاء نفس الإنسان.

أجل مستمعي إن شرب الخمر لن يفيد شيئاً، إذ قد يجعل المرء ينسى همومه ومتاعبه إلى حين. ثم يعود ليكتشف أن واقعه المؤلم لم يتبدل البتة. وعلى العكس إذا سكر الإنسان فإن هذا سيزيد من متاعبه، إذ سيدمرّ جسده وصحته، ويسبب له مشاكل عائلية، ومع الناس من حوله. هل تعلم مستمعي أن الكثيرين يلجأون لشرب الخمر هاربين من مشاكلهم ومتاعبهم؟ لكن النتيجة تكون أنهم يقعون في مشاكل أكبر وأعمق. وكما يقول المثل العربي: وداوني بالتي هي الداء. أي عالجنى بما هو مسبب للمرض والعلل.

ولقد نبّهتنا كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس، عن خطر شرب الخمر والوقوع ضحية السكر، في آيات عديدة سبق لنا أن تحدثنا عنها من خلال هذا البرنامج. لابل إن سليمان الحكيم نفسه قد حذّرنا في سفر الأمثال من هذه العادة الخطرة. فهل تراك مستمعي تنتبه لهذا الأمر، ولا تحاول أن تتورط في هذه العادة القبيحة، عادة شرب الخمر والوقوع في السكر؟ مع العلم كما ذكرنا قبل قليل أن شرب الخمر لن ينقذك من مشاكلك، ولن يجلب لك الاكتفاء النفسي الذي تتوق إليه.

هل هناك يا ترى فرح حقيقي ودائم في عالمنا؟ وما هو مصدره؟ وكيف نستمدّه؟ إذا عدنا إلى الكتاب المقدس كلمة الله الحيّة، لوجدنا أنه تحدّث كثيراً عن الفرح. لكن الفرح الذي تكلم عنه هو فرح الإنسان في الرب. أي الفرح الذي مصدره الله، وليس الظروف أو الأشياء المادية المحيطة بنا. ويخبرنا الرسول بطرس من رسل المسيحية الأوائل عن كيفية الحصول على هذا الفرح، فكتب عن المخلص المسيح قائلاً: « الذي وإن لم تروه تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به، فتبتهجون بفرح لا يُنطق به ومجيد» (بطرس ١: ٨).

هل تعلم مستمعي أن الإيمان بالمخلص المسيح يجعل الفرح الحقيقي يملأ حياتك من الداخل، وسلام الله العجيب يسكن في قلبك؟ هذا الفرح الذي لا نستطيع وصفه أو التعبير عنه، إذ هو كما قال الرسول بطرس فرح لا يُنطق به ومجيد. إن هذا الفرح الحقيقي والدائم يختبره كل من آمن بالمخلص المسيح. وأنت مستمعي تستطيع اختباره عندما تأتي إلى الله تائباً عن ذنوبك ومؤمناً



خدمة الإذاعة العربية

بالمخلص المسيح. عندها يحل هذا الفرح العجيب في داخلك. إذ تتأكد أن خطاياك قد غُفرت، وأنت قد أصبحت من أولاد الله، وستنال الحياة الأبدية.

هل تعلم مستمعي أن هذا الفرح الحقيقي هو من ثمار الروح القدس؟ كتب الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل، متحدثاً عن ثمر الروح القدس في المؤمن الحقيقي، واضعاً الفرح من أوائل هذه الثمار، فقال: « وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف» (غلاطية ٥: ٢٢). إن هذا يؤكد أنه من الممكن الحصول على الفرح الحقيقي والدائم في عالمنا، عندما نؤمن بالمخلص المسيح.

ولهذا طلب الرسول بولس من المؤمنين بالمسيح قائلاً: « افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (فيلبي ٤: ٤). إن الرب إذن هو مصدر فرح المؤمن الدائم. ولهذا لم يكن غريباً أن ندعو البشارة المسيحية بالأخبار المفرحة، التي تجلب الفرح لمن يقبلها. فهل تود مستمعي أن تتجاوب مع هذه الأخبار المفرحة؟ وهكذا يغدو المسيح هو مخلصك الوحيد، وتحصل بالتالي على الفرح الحقيقي والدائم!